

عن فلسطين كنايةً عن الجنوب وعن المعرفة بما هي استعارة للتحرُّر

الجنوب: المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية (2-3)
القدس، دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، تشرين الثاني 2025
590 صفحة (بالعربية)

خالد عودة الله سنجة ستي يامنة: سيرة فلسطينية لحربة الإمبريالية (كتاب الجنوب 2)
القدس: دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، 2025
161 صفحة (بالعربية)

عنان حمد الله تحوُّلات الحرب الأمريكية على العراق: الانعطاف الثقافية، صعود الباحث المقاتل،
والعنف الإبتيمي (كتاب الجنوب 3)
القدس: دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، 2025
125 صفحة (بالعربية)

قراءة: منير السعيداني، تونس

تقديم

على وجهٍ ما، يمكّنني تفضُّل أسرة الجنوب: المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية بدعوتي إلى مراجعة عددها المزدوج الثاني-الثالث (خريف-شتاء 2025) من استئناف آخر لتفكيري في العلاقة الممتدة بين ثلاثي: "التحرر الوطني من الاستعمار"، و"مكافحة الصهيونية"، و"تنظير فلسطين". فقد كانت واحدة من مساهماتي الأولى في هذا التفكير، وفي علاقة ببعض من أعرف من أسرتي المجلة وجامعة بير زيت، دعوتي لإلقاء محاضرة على منبري "مركز الأبحاث الفلسطيني" و"مركز خليل السكاكيني الثقافي" في رام الله (4 تشرين الأول/أكتوبر 2021) حول "تشكُّل الهويات ونزاعاتها في السياقات الكولونيالية".¹ ثم كانت المناسبة الثانية اهتمامي بفكرة "مفهمة فلسطين"، حسب عبارة عبد الرحيم الشيخ، التي رأيت فيها أن أطروحته "ليست فقط محاولة إعادة بناء للحقل العلمي

الذي يهتمُ بفلسطين معرفةً ودراسةً وتحليلاً تحريراً، وتطوير أدواته المفهومية واستنتاجاته التحليلية في اشتباك مع المعرفة 'الإسرائيلية' الاستيطانية بوصفها فرعاً من الإستيمولوجيا المتمركزة حول أوروبا، بل... ترتقي إلى مرتبة التنظير لها (فلسطين).² ومن آخر مساهماتي، إلقائي محاضرة في 1 تشرين الثاني/ نوفمبر 2025، بعنوان: من "الجور الإستيمي إلى الإبادة الإستيمية: وقائع من فلسطين ومن جوارها الثقافي" على منبر المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات، بمناسبة افتتاحه موسمه العلمي الأكاديمي 2025-2026.

في المناسبات الثلاث، وفي أخرى، كان مدار تفكيري ما يمكن تلخيصه في السؤال التالي: كيف يمكن، ضمن المشروع التحرري الفلسطيني، أن تكون المعرفة العلمية الاجتماعية، في معناها الواسع، موضوع تحرير وأداة اعتناق؟ وعلى مرّ ما كانت عليه مختلف استئنافات تفكيري ذلك، كنت أتدرّج في إدراك مدى كثافة التقاء اهتمامات البحث المشتركة وأتساعها بين مشتغلين عديدين بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ضمن الحقل الأخذ بالتشكّل حول مقولة "تنظير فلسطين"، في فلسطين ذاتها وفي جوارها الثقافي وفي أمدائها العربية والإنسانية. ومن هذا الباب، أقدم مراجعتي، غير الوافية ولا شك، للعدد المذكور من الجنوب: **المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية**، متحسّساً إمكانية الجواب على سؤال ما إذا كانت تضيف لبنة أخرى إلى ذات المشروع البحثي الذي تعاملت مع بعض وجوهه، وتعلّمت منه أكثر مما أضفت له. وتأسّس مشروعية سؤالي على واقعة أنّ المجلة تحمل في تسميتها عدداً من الإشارات إلى المدى الذي قد يكون بلغه مشروعها. فهي تصدر عن دائرة بحثية وفكرية-تنظيرية تهتمّ بمسألة مخصوصة وضعتها تحت عنوان "الدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي"، وهي تحمل تسمية فيها طباق، لا في المعنى البلاغي الذي يجمع الشيء (فلسطين المستعمرة) ونقيضه (التحرر) فحسب، بل وكذلك في المعنى السعيد-الدرويشي نسبة إلى إدوارد سعيد³ ومحمود درويش⁴ على التوالي. فضلاً عن ذلك، يضع ذات العنوان فلسطين ضمن مدى أوسع هو "الجنوب" بحيث لا يكتفي باستهدافها هي، ولا بجوارها الثقافي فحسب، بل يتوسّع فيه إلى جغرافية للتحرر المعرفي أشمل. فهل تكون المجلة، بسمايتها هذه كلّها، قريبة إلى اجتراح ما يمكنها من مواكبة "المنعرج التاريخي" الذي افتتحه "طوفان الأقصى" من جهة، و"المنعطف الإستيمي" الذي جعلتنا "العتبة الغزاوية" نشرف عليه، كما افترضت ذلك في غير هذا الموضوع؟⁵

عن المجلة

هذه مجلة تصدرها "دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي"، وهي تحمل عنوان الجنوب: **المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية**. وقد أصدرت في سنتها الأولى ثلاثة أعداد، العدد الأول منفصل بذاته، والعددان الثاني والثالث متّصلان في إصدار واحد مزدوج. تعرّف المجلة عن نفسها، على موقع الدائرة،⁶ بأنها "دورية لا تُشرى ولا تُباع، تُنشر بطبعة محدودة في فلسطين، وبصيغة إلكترونية على موقع 'باب الواد'. وتُعنى بالنتائج والممارسات والسياسات في ميادين النظرية والمنهج والممارسة ذات العلاقة بالدراسات التحررية والبحث المحارب فلسطينياً وعربياً وعالمياً، مع تركيز خاص على قضايا

الجنوب العالمي، والقضايا العابرة للجغرافيات السياسية. تركّز مجلة الجنوب وكتاب الجنوب الذي يزامن أعدادها، بشكل خاص، على الصراع العربي الصهيوني الذي تقع فلسطين في القلب منه.. كما يعرف النص نفسه دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي بأنها "مجموعة تطوعية مستقلة للبحث والتعليم المجتمعي في فلسطين انطلقت في العام 2011، من القدس."

بعد الافتتاحية ("ألقوا الشباك ثانية... عن واقع اليأس وحق الأمل"، عبد الرحيم الشيخ)، تتوزع عناوين أركان المجلة في عددها هذا (590 صفحة) بين "المقالات" وفي العدد سبع منها، فيها متابعة تحليلية للأحداث؛ و"السجال" وأساسه الانطلاق من حدث لطرح موقف سجالي، وضع تحت عنوان "عامان على الإبادة: المقاومة غاية وهدف—بيان ضدّ الإبادة والتجويع والاستسلام": والحوارية" وموضوعها "المثقف الجنوبي I: المسألة والمسؤولية" وفيه مقدمة وثلاثة نصوص؛ و"إضاءة" وهي تتكوّن من أربعة نصوص؛ و"دراسات" وهي ثلاث تجتمع على مناقشة موضوعة الأدب والحركة الأسيرة، فضلاً عن "ترجمة" و"ريپورتاج" و"إبداع" وفيه شعر واشتغال على الذاكرة وتشكيل؛ و"مفهوم"؛ و"بطاقة"؛ و"تقانة"؛ و"وثيقة"؛ و"مكتبة" المخصّصة لعروض الكتب. ويرافق هذا العدد كتابان من كتب الجنوب هما: "سنجة سنيّ يامنة" لمؤلفه خالد عودة الله؛⁷ و"تحوّلات الحرب الأمريكية على العراق" لمؤلفه عنان حمد الله.⁸

في سياق إصدار العدد

تُظهر ضخامة العدد وتنوع أركانه أنّ ثمة عملاً على ملامسة وجوه مختلفة من "المسألة الفلسطينية" في تجاوز وإع ومصمّم لتجزئتها المعتادة بين أرخبيلات وجوهرها السياسية، والجغرافية الدولية، والأدبية، والكفاحية- القتالية... إلى آخره. ولكن التجاوز الأعمق كان في تصوّر العدد لذلك الفصل المتعمّد بين شأن فلسطين السياسي في معناه العام وشأنها العلمي الاجتماعي. ولكن التجاوزين لا يمرّان دون مكابدة إعادة ترتيب المقاربات، ومراجعة تقدير زوايا الطرق، وتعديل المناهج والأدوات المفهومية والنظرية.

يصدر هذا العدد في زمن "الإبادة الجماعية" (من الافتتاحية، 11) ضمن جرائم الاحتلال والاستيطان والتهجير والترانسفير والتمييز المكاني. هو زمن يتفرّع إلى اثنين: الزمن الاجتماعي كما يمتدّ بحيث يمكن أن يكتب تاريخه، والزمن الموازي (اقتباساً من وليد دقّة) أي زمن الأسرى في سجونهم (من الافتتاحية، 12). ولكنّ الزمنين في مشروع العدد يعيدان الاندغام في زمن واحد هو زمن وقوع الفلسطينيين كافةً أسرى في فلسطين-السجن الكبير الذي لا شفاء من الانحصار فيه إلا اجتراح سؤال "الأمل" العويص. لهذا السؤال تصاريفه المتعدّدة، حائمة حول مصدر الأمل وموعد حلوله وكيفيات ظهوره ومآلات مروره بالأرض التي تختبر فيها خلاصة كل ما تفتّقت عليه عقول الاستعماريين من سياسات الإماتة والإحياء الممكنة. ليس سؤال الأمل موضوعاً بهذه المنهجية انفعالياً، ولا هو يتعلّق بالإحساس أو الشعور، ولا بالنفس التي تريد أن تهرب من واقعها بالتعلّق بما قد لا يأتي ولو بعد طول انتظار خائب. هو سؤال حياتيٌّ على صيغة "وعدّ نظري تحقّقه الممارسة" (من الافتتاحية، 13)

مندفعاً نحو "عالم المتوقَّع" الذي يقع "هناك"، ويحدث "أنداك" (14) أي يقع خارج اليوتوبيا والدستوبيا مكاناً، ويحدث في حينه زماناً. ومن أجل رسم خريطة ذلك الأمل وتعيين جغرافية مواقع أعدائه في النفوس وفي الفكر وفي الممارسة على الأرض، يستدعي عبد الرحيم الشيخ في افتتاحيته أصوات فلسطين الشعرية (محمود درويش) والمسرحية (وليد دقة) والنضالية (باسل الأعرج) والعلمية الاجتماعية (إسماعيل ناشف)، وأصوات أحبائها من العرب المسرحيين (سعد الله ونُوس) والشعراء (أمل دنقل ومظفر النّوّاب)، وفلاسفة التاريخ (فالتر بنيامين) والمسرحيين (صموئيل بيكيت) والثوريين العالميين (بيل هوكس)، وغيرهم من غير العرب... وسائر من "بقي فلسطيني القلب في الجوار العربي والعمق الجنوبي والامتداد العالمي" (21). وكان لا بدّ من هذا الاستحضار لتسويغ الإشارة إلى مستلزمات "النضج الأخلاقي والمعرفي والميداني... ووعي التاريخ، عبر تفعيل مهماز النفس اللوامة الجماعية (بحيث) يمكن أن يقود إلى أمام مختلف" (21).

ذلك هو مناط مشروع العدد وقد تجسّد في نصّ يواكب "النهاية المؤقّته" للحرب على انتفاضة الطوفان التحرّرية المسلّحة في غزة وكامل فلسطين، ويشتبك مع البداية المستأنفة لمشاريع فرض الهزيمة، نصّاً منفتحاً على ما يمكن أن يتجاوز النهايات المؤقّته والبدايات المستأنفة، غير فلسطينية المَهْجَة.

عن ركن المقالات

تتشاطر المواد المكوّنة لركن "المقالات" هذا الاهتمام-الانشغال الفكري المنصرف إلى تحقيق المستلزمات النظرية للممارسة العملية للتحرّر في مستوياته كافة. وفي هذا التناول قضايا من قبيل "في) معنى مركزية القضية الفلسطينية" و"نزع المقاومة من الذاكرة"، وغيرها. ومن بين مقالات أخرى، في مقال أول (ساري عرابي-فلسطين، 30-33) مراجعة للوجهات المتخالفة لموقّعة القضية الفلسطينية في المركز من "الاهتمام" العربي مازاً من كونها شبيهة بباقي "الأقطار العربية" المؤلّدة من التقسيم الاستعماري للمنطقة، إلى كاشفة لمعايب التصديّات العربية للمشاريع الاحتلالية، إلى مجسّدة لفشل المشاريع الوجودية والتحرّرية، إلى حائلة دون تركيز الأقطار العربية الناشئة على قضايا تنميتها وتعزيز "استقلالها"... إلى آخره. في كلّ حالاتها تلك، لم تكفّ "القضية" عن أن تكون مركزية، لأن المشروع الصهيوني بما هو احتلال إجلائي إجلائي مهدّد للوجود، ظلّ يلقي بقنابله ورساياته وشظاياها على كلّ كيانات المنطقة المحيطة بفلسطين. لا بل إن مركزية القضية تزداد تعمقاً ووضوحاً، لا في قلب المشهد العربي-الإسلامي فحسب، بل والعالمية أيضاً، ذلك أنّ فلسطين (33) "هي الدالّ الأهم والأكثر وضوحاً وحدّة على الاختلال العالمي... السياسي والاقتصادي... والثقافي والقيمي، وذلك منذ اللحظة التأسيسية حينما شرّد الشعب الفلسطيني، صاحب الأصلي لفلسطين... لقد كانت قيامة 'إسرائيل' إهانة صريحة ومعلنة للبشرية، ونقيضاً للكرامة الأدمية، وهو ما يجعل القضية الفلسطينية... معياراً دقيقاً لأحوال العالم، ما يؤهلها لأن تكون قضية مركزية للعالم كلّ".

في مقال ثانٍ (ربيع بركات- لبنان، 34-38)، ومن خلال عرض تجارب وأرصا لمحتويات وسائط التواصل الاجتماعي

على اختلافها ومعاينات لصفقات شرائها ومبادلتها وتحويلات خوارزمياتها، تركيز "على النحو الذي توظّف فيه الخوارزميات وشركات الدلتا العملاقة والسوشيال ميديا لقمع الخطاب المقاوم للإبادة في غزة... وتخصّص (ال) جهود (ال) كبيرة في الصروح الأكاديمية للقيام بالمثل" (36) بحيث يتحقّق "ما يراد من الخوارزميات والقيود على الداتا وآليات الإنتاج المعرفي أن تقوم به، لجهة نزع مفهوم المقاومة وأرشيفها من الذاكرة الجمعية" (37).

وينتهي مقال ثالث (أمني سراحنة- فلسطين، 39-45) بوضع سؤالين، مفادهما: "كيف يمكن للأسرى استعادة قدرتهم الجماعية على مقاومة منظومة التوحّش التي بلغت ذروتها في أعقاب الإبادة؟ وكيف يمكن مقارنة سرديات الصمود وأدواتها في زمن الإبادة؟" (43).

سجل (إعادة) تعريف الإبادة

وفي ركن "السجل" (عامان على الإبادة: المقاومة غاية وهدف- بيان ضدّ الإبادة والتجويع والاستسلام، 60-90)، وبعد الفاتحة، يطرح البيان⁹ أفكار كل من سيف دعنا، وغسان أبو ستّة، وصبيح صبيح، ووسام الفقعاوي وصلاح الحموري (فلسطين) حول نقاط تفصيلية هي على التوالي: "الإبادة"، و"هندسة التجويع وعسكرة الطعام"، و"الاقتصاد السياسي للإبادة"، و"النموذج الجديد للإبادة (باراداييم جديد)"، و"المقاومة غاية وهدف"، و"بناء على ما سبق" في أربع نقاط، ونقطة ختامية. مناط النصّ، هو تشریح الإبادة الجماعية كما حدثت على امتداد سنتي الانتفاضة التحرّرية المسلّحة في غزة وحرب الكيان الصهيوني ضدّها، تلك الحرب المدعومة من دول وحكومات الشمال الإمبراطوري الاستعماري، وذات الصدى لدى التواطؤ الرسمي المحلّي والعربي، من أجل الإجابة على سؤالين ضمنين: في ما تشبه هذه الإبادة الإبادات الجماعية الاستعمارية التي تتخلّل تواريخ الاحتلالات والاستيطانات والتطهيرات الحدائية والحديثة؟ وفي ما تقدّم بارادايماً جديداً؟ وذلك "ضمن رؤية تحرّرية شاملة تؤسّس وتقود إلى الفعل المقاوم" (من الفاتحة، 61) حيث كفّت "إبادة الفلسطينيين (عن أن تكون) مجرد قضية سياسية أو إنسانية فحسب، بل أصبحت مرآة تعكس مآلات وتحوّلات العالم الحديث كلّ، ومصير الإنسانية في ظلّ الهيمنة الغربية... في مرحلة مفصلية تُعاد فيها صياغة الإنسانية من جديد" (من الفاتحة، 64).

يستعرض البيان مختلف إشارات وكالات الأمم المتحدة ومراكز البحث ومؤسسات الرصد والإعلام وغيرها إلى أن الإبادة كانت تجري، ومنذ ساعات اقترافها الأولى، بتصميم مسبق وتخطيط متكاتف وتمويل وتغطية دوليين متناسقين. ومن أدواتها التجويع المُعسكر، واستخدام الطعام الممنوع على الغزايين المحاصرين بين القتل المخطّط له، والإماتة المبرمجة، والاعتقال المعمّم، والجزر الجماعي المبيّت، والإنهاء المتعمّد لكلّ مقومات أنظمة البقاء على قيد الحياة. وليس يمّس كلّ ذلك غزة فحسب بل تتلوّن أساليبه ما بينها وبين الضفة الغربية، وسجون الاحتلال، ولبنان، واليمن، وكلّ بقعة يمكن أن تطلّها أيادي الصهاينة، منفردة كانت أم متكاتفه مع أيادي الأمريكان أو حلفائها ومراكز إمداداتها بالذخيرة، ومعاضدتها بالكذب والتضليل وحجب الحقائق عن الصحافة الاستقصائية وناخبي الهيئات التمثيلية الأمريكية والأوروبية،

وتأمين التغطية القانونية لجرائمها، وتعطيل دواليب اشتغال المنظمات الحقوقية والجنائية الدولية ضدّها. تلك كانت البنى التحتية التي قام عليها الاقتصاد السياسي للإبادة، بني تأسست واستمرّ تعزيزها منذ ما قبل تركيز الكيان الصهيوني في العام 1948. على هذه الأسس (77)، أنفقت بيانات "الرابطة الدولية لعلماء الإبادة الجماعية" (تموز/ يوليو 2025) و"لجنة الأمم المتحدة للتحقيق" (16 أيلول/ سبتمبر 2025) و"بيانات معهد ليمنك للتوقّي من الإبادة الجماعية والأمن الإنساني،"¹⁰ على أن ما يجري هو إبادة جماعية بكلّ المواصفات القانونية المعتمدة في مثل هذه الحالات.

ولكن هذه حالة ليس لها مثيل مسبق، إنّها من نوع جديد يرقى إلى مرتبة الباراداييم. فهي إبادة منظّمة دُبرت بنّيّة مبيّنة، وذات أسلحة مسبقة التجهيز، وتحظى بدعم دولي لا مشروط، وتتمتع بالحصانة الإعلامية والسياسية والقانونية والتبريرية للأخلاقية واللاإبتيقية التي لا يرفّق لأصحابها جفن. فضلاً عن أنّها تُقترف على رؤوس الأَشهاد وتُنقل إلى كافّة أصقاع الدنيا في الزمن الفعلي وبشكل مباشر، ولا تثير ردّة الفعل السياسية والأخلاقية والقانونية والعسكرية المطلوبة لحماية للإنسانية، ويقترفها كيان هو التلخيص الأكثر إجراماً لاستراتيجيات الإبادات الاستعمارية التاريخية، سواءً أكانت سكانية و/ أو مكانية و/ أو ثقافية و/ أو ذاكراتية و/ أو حضريّة و/ أو تعليميّة و/ أو بيئيّة. والكيان الصهيوني "متشبع بعمق بأيدولوجية الإبادة الجماعية" كما يؤكّد تقرير معهد ليمنك (84)، مع الانتباه إلى النقد الذي وجّهه روبن كيلى لرؤية ليمنك (100 وما بعدها) للإبادة الجماعية وموقفه من تأطيرها ضمن أساس السياسات الامبراطورية داخلاً وخارجاً، في نصّه الوارد في "الحوارية" التي أعرض بعض ملامحها بعد بضعة أسطر).

هذه هي إعادة تعريف الإبادة بسماتها الباراداييمية، بوصفها أعلى مراحل التعبير عن الصلف الإمبراطوري المعاصر، وأقرب مُدِيّة انتحار إلى شريانه الأبهـر—تكننته الاستيطانية المدجّجة على أرض فلسطين. وليس من مطالب إعادة التعريف هذه الاستسلام، بل، وعلى النقيض تماماً، التأكيد على "أنّ ثالوث الإبادة والشرّ الإمبريالي الغربي—الصهيوني—الرسمي العربي لن يرى رايةً بيضاء، وأنّ المقاومة ستظلّ ممسكة و متمسكة بالأمل وبوعد النصر، ليس من أجلها فقط، بل من أجل الإنسانية جمعاء" (85).

ما السبيل إلى ذلك؟ يجيب العدد من خلال حوارية ذات غرض مناسب (91-137).

حوارية حول "المثقف الجنوبي: المسألة والمسؤولية"

يتبع عنوان الحوارية الرقم الروماني (واحد) بما يحمل على الافتراض أنّها حلقة أولى من متّصل، شارك فيها أيرلندي (ديفيد لويد David Lloyd)، "قنبلة إسرائيل" الاستعمارية الاستيطانية، (109-125) وأفريقيان-أمريكيان روبن كيلى Ruben D.G. Kelley، "مسؤولية المثقفين في زمن الفاشية والإبادة الجماعية" (91-124)، وفريد موتين Fred Moten "هنا، هناك، وفي كل مكان"، (126-137). تُوّزَع مواطن الكُتّاب الثلاثة يعطي للجنوب

معناه الكامل: تلك الرقعة من العالم، ذات الجغرافيات متعدّدة المراكز والأمداء، التي تخترق جغرافية الاستعمار الإمبراطوري والإبادة والفاشية والاستبداد المتمركزة حول ذاتها، وأدواتها العسكرية والتكنولوجية الغاشمة، ومؤسسات نفوذها المالية والإعلامية، وأيديولوجيتها وعقلية استخباراتها البانوبتيكونية (جيريمي بنثام Jeremy Bentham).¹¹ مجال تفكير النصوص الثلاثة هو أوضاع العالم المعاصر المحاصر بين الإبادة الجماعية والإماتة فائقة التطور التكنولوجي على قاعدة مركزية الوضع الفلسطيني بما هو خلاصة تلك الأوضاع كلّها وماهيّتها وعرضها التجريبي على طريق تعميمه على البشرية كافة. يشترك الحوار مع تحديدات مسؤولية المثقف بوصفها موقفاً وأداءً وإيتيقياً تجاه مقتضيات الضمير والصدع بالحقيقة مقابل وصفها دور خبير وتقنوقراطيٍّ معرفة وفكر، وديناً بالطاعة تجاه المؤسسات وعلى الأخصّ منها الرسمية والحكومية. وعلى الرغم من انطلاق النصوص من وقائع حدثت أساساً في بلدان غرب أوروبا وشمال أمريكا واعتماد النقد المتجادل بين مثقفيها حول أوضاعهم ومن داخل مناخاتهم الفكرية (93-95)، فإن من تلك المناخات دروساً في منهج التفكير في مسألة المثقف. أحدها يأتي من داخل سجون الفاشية، وعلى صفحات الكُرّاسات التي خطّها أنطونيو غرامشي (Antonio Gramsci، 1891-1937) وفيها رأى أن "الخطأ المنهجي الأكثر شيوعاً كان وما يزال البحث... في الطبيعة الجوهرية للنشاط الفكري نفسه بدلاً من النظر إلى المنظومة العامة للعلاقات التي يقع ضمنها هذا النشاط (أو المجموعة التي ينتمي إليها) ضمن التركيبة العامة للعلاقات الاجتماعية" (96).

يسمح مثل هذا المنهج الجدلي بوضع الأطروحة القائلة إنّ "العنف الاستعماري في الخارج (أي جرائم الإمبراطورية الأمريكية والعنف الاستعماري)، كان مرتبباً ارتباطاً وثيقاً بالفاشية في الداخل" بحيث كانت نتاجات مثقفين راديكاليين "مرتبطة بالحركة، وجهوداً واعية لمناهضة الفاشية والعنصرية والاستعمار" (98). ولئن لم تمنع تلك الجهود تمُدّد "الإنكارية" (negationism / denialism / négationnisme) المعمّمة لجرائم الاستعمار الإمبراطوري والإبادة والفاشية، الصادرة عن مثقفي الطاعة الرسميين، فإنها لم تمنع بالمقابل من ردّ الصلف الإمبراطوري إلى جذوره الأيديولوجية الإبادية المثقفة لدى زئيف جابوتنسكي (111). وعلى ذلك، تحتاج هذه الجهود إلى العودة المتكرّرة بل والدائمة، كما فعل ديفيد لويد (112 فما بعدها)، إلى نظريات تفكيك الاستعمار، أو ما اقترح تسميته "نقض استعمارية المعرفة" كما أشرح في خاتمة هذا العرض. لا تكفي المساحة المتاحة لهذا العرض أن يستعيرها من المجلة، أن آتي على كلّ النصوص في كلّ الأركان، ولذلك فإنني أخصّص باقي العرض إلى الكتابين المصاحبين للعدد.

كتابان وأطروحة واحدة الكتاب الأول — سنجة ستيّ يامنة: سيرة فلسطينية لحربة الإمبريالية

"سنجة" في الدارجة التونسية كلمة قديمة تطلق على الميزان، أو السكّين (النصل)، لكن الأرجح أنها مشتقة من نبات "السّنج" الذي يغطّي الأراضي الخضراء، ولهذا سمّيت مناطق تونسية باسم "سنجة"، وتعني في الأصل المروج

أو الأراضي الخضراء والسهول الخصبة. والمعنى قريب في لهجات مغربية عديدة. ولكنها في هذا الكتاب التاريخي التوثيقي والتحليلي في آنٍ معاً، لمؤلفه خالد عودة الله، ذات تاريخ يجول بين الجيوش البريطانية واليابانية والروسية والألمانية، لتتخذ معناها حربة توضع على آخر فوهة البندقية بحيث تسمح للمحارب أن يعالج من يصيب بطعنات تمكّنه من أن يجهز عليه، من المسافة صفر، أو أن يتفحص محتويات أكياس الأعداء وأكوام القش، وغير ذلك من مكامن اختبائهم الممكنة. ويتبين من العرض التاريخي الموثق بالمرئيات (خرائط، أشكال، صور، رسوم،... إلى آخره)، كيف "تشكّل معنى الحربة في الصدام الاستعماري بصفقتها أداة الذبح المتحصّر النبيل في مقابل الذبح البربري لمقاومي الاستعمار" (29). ليست الحربة إذن، مجرد أداة عسكرية شاهدة على تطوّر تكنولوجيا الأسلحة الفردية بل هي "ثقافة... في الجيش البريطاني بما (يسمح بتشخيص) أزمة الرجولة البريطانية المحاربة في عسر الحروب الحديثة... والتشوّف إلى لذة الإحساس باختراق السلاح الأبيض-الحربة للحم الآدمي الطري وشهوة الدم" في تبادل للصور الخاصة بين الجنود البريطانيين والألمان والواصمة للثانين بنقص الرجولة في الدعاية الحربية البريطانية الرسمية (34).

تكمّن أهمية هذه العروض الأولى في أنّها تؤطّر المعالجة التاريخية والتحليلية لتاريخ السنجة من منظور فلسطيني يتخذ له أقانيم في المقبرة والمجزرة (بئر السبع 1917)، صرفند (1918)، كفر قاسم (1956)) والقرية الواقعة تحت الغزو، والمحاربة من أجل تحريرها وفكّ حصارها، لا من أيادي المستعمرين البريطانيين فحسب بل وأيضاً من بين أيدي فرق الليل الأنجلو-صهيونية الخاصة (115). ويمضي النصّ في متابعة تاريخ الحربة حتى تصل إلى أيدي هذه العصابات المتحالفة مع فرق الجيش البريطاني ترهيباً للفلسطينيين وباعتبار "الحربة (طراز 1907) سلاحاً أساسياً لإرهاب الفلاحين الفلسطينيين" بل وكذلك "لبناء شخصية المقاتل الصهيوني الدموية" (115). لقد آمن البريطانيون كما الصهاينة بأنّ الحربة سلاح مثالي "للاقتضاض وتمزيق الأجساد... وسلاح إرهابي نفسي يترك وراءه الكثير من الدم والأوصال... استخدمت أيضاً للتعذيب في عمليات التحقيق الميدانية... والسلاح المناسب... في بناء المقاتل الصهيوني الجديد للمبادر للهجوم... على أنقاض المقاتل الصهيوني القديم الذي اعتاد الدفاع على المستوطنات من وراء الجدران" (119).

تنتهي واحدة من هذه الحراب بين يديّ جدّة المؤلف، سته يامنة، و"قد اغتنمتها من أحد مواقع الحرب العظمى في قرية بيت حنينا-القدس لتصير بيدها سلاحاً وأداة تستخدمها في حياتها اليومية" بحيث تسمح للكاتب بأن يقصّ، من منظور فلسطيني مقاوم، "التاريخ العسكري والثقافي للحربة بوصفها رمزاً للإمبريالية البريطانية" (8). ويدلّ مصير الحربة بين يديّ الجدّة يامنة، على أنّ ما تصنعه الإمبراطوريات للحرب والغزو والاستعمار الاستيطاني من تكنولوجيا، وتضعه بين أيدي "الرجال" المحاربين من أجل أهدافها تلك، ينتهي بين أيدي النساء، أصيلاّت الأراضي المغزّوة الصامدات، سلاحاً للدفاع عن النفس، وعن الأرض، وعن الحرية، وأداة للعمل.

الكتاب الثاني—تحوّلات الحرب الأمريكية على العراق: الانعطاف الثقافية، صعود الباحث المقاتل، والعنف الإبتيمي

مدار المناقشة في هذا الكتاب، لمؤلفه عنان حمد الله، هو العلاقة التي كانت وما تزال تعتمل بين الحرب بأنواعها، وسحرها، وموقع البحث العلمي منها، والعنف الإبتيمي الضروري لخوضها، بأنواعها وتلاوينها كافة.¹² عبر فصول الكتاب المتتابعة، تمتدُّ هذه المناقشة بين نظريات الحرب كما وضعها الفلاسفة، ثم كما أطرها البروسي كارل فون كلاوزفيتز (Carl von Clausewitz، 1780-1831) وكما استحالت على أيدي الإمبراطورين الغزاة بدءاً بالإسبان وانتهاءً إلى الأمريكان. ويبقى هذا التاريخ موقع التلخيص الجوهرى لكل آثار الحروب المدمّرة للشعوب وللأوطان ومقوّمات الحياة مخصّصاً للصهاينة.

من أوائل ما يكشف عنه الكتاب، الذي يتّخذ من العراق مرآة عاكسة لكلّ وطن مغزوّ ومن أمريكا أنموذجاً لكلّ دولة متغترسة غازية، أنّ في حرب الثانية العدوانية على الأول، كان ثمة وعي متزايد الوضوح والحده لدى مقترفيها وهو أنّ "ما افتقر إليه هو الوعي الثقافى"، فعلى الرغم من أنّه يمتلك "قدرات استخبارية تقنية هائلة" فهذه تظلّ "موجّهة إلى العدو الخطأ". لم يكن ذلك المرور من الطرح الإستراتيجى الكلاوزفيتزى الأول إلى وقوع الإمبراطورين الأمريكان في مستنقع الحرب الخاسرة في العراق، دون محطات نقل وإعادة تفسير وتعديل للتأطير. وكان من بين أكبر محطات صياغة الهندسة الأولى للحرب الاستعمارية الغازية الحديثة ما ارتسم على أيدي القشتالية إيزابيلا الأولى، "الملكة الكاثوليكية" (1451-1504) بمزاوجتها بين تطهير الممالك الأندلسية من المسلمين واليهود وتطهير قارة "العالم الجديد" المغزوة من سكّانها الأصليين. لم يكن ما بعد تلك التجربة-النموذج سوى استلهام منها، مثل: إستراتيجية الحرب الاستعمارية الفرنسية على الجزائر، والعقيدة الاستعمارية البريطانية في أقاصى آسيا الشرقية، والعالم الهندي... إلى آخره. وفي هذا السياق، كان ما اهتمّ به الكتاب هو تحليل "كيف تحوّلت الثقافة المنتجة عبر العلوم الاجتماعية إلى معرفة عسكرية" بما يسمّى "عسكرة المعرفة" الذي "شكّل فيه الإمساك بالعناصر الثقافية بدلاً من المجالات الجغرافية المرتفعة دوراً أساسياً في تحقيق النصر في الحرب" (14).

تكرّست هذه الإستراتيجية الأمريكية في الحرب على العراق في "ابتكار نظام التضاريس البشرية" (2006) من خلال إدماج العلوم الاجتماعية وممارستها في الوحدات العسكرية... ودمج وجهة نظر العلوم الاجتماعية في العمليّات العسكرية لممارسة مكافحة التمرد". حينها، لم تكن هذه الإستراتيجية جديدة، إذ تعود إلى محطة سابقة "ترجع إلى "لورانس العرب" باعتباره الباحث المقاتل النموذج الذي استرشد به عدد من العسكريين والباحثين الأمريكيين في العراق" (16-17). كان الظنُّ عند الأمريكيين أنّ الابتكارات التكنولوجية قضت بإقصاء كلاوزفيتز خارج الدائرة المرجعية للتفكير في الحرب، على أساس أنّ ما حدّده هو مقوّماتها، من ضبابية وحضور للصدفة واحتكاك وعدم قابلية للتوقُّع الكامل الدقيق، قد ولّى بفضل "البراعة التقنية" (35). انبنى ذلك الوهم على التأكيد على أنّ طبيعة الحرب هي مواجهة مسلحة فائقة التعقيد تكنولوجياً بحيث يتمُّ حساب كل التوقُّعات القابلة للحصر والاحتمالات الواردة على حساب العوامل السياسية والثقافية. ومن ثمّ، كان التوقُّع

بعدم قدرة العراقيين على إثارة التمرد.

ولكن توالي أعمال المقاومة، وتتالي ظهور المقاتلين من بين صفوف الأهالي ليشنوا أعمالهم القتالية ثم عودتهم إلى "التخفي" ضمن تلك الصفوف ذاتها، دفع الغزاة نحو الانتقال، منذ العام 2006، وتحت إمرة قائد القوات العسكرية الأمريكية في العراق ديفيد بترئوس (David Petraeus)، إلى تبني عقيدة حربية مغايرة تماماً. وقد اعتمدوا في ذلك التغيير بشكل أساسي على مؤلف دايفيد غالولا (David Galula، 1919-1967)،¹³ وعلى كتاب توماس إدورد لورانس (Thomas Edward Lawrence، 1888-1935) المعروف بلورانس العرب.¹⁴ لقد حوّل ذلك التغيير عقيدة الغازين المحتلين في مكافحة التمرد من التمرّكز حول الأعمال العسكرية بمقوماتها التسليحية والتكنولوجية إلى التمرّكز حول السكّان (44). وقد اقتضى ذلك أن "حوّلت الحرب... إلى حرب بين الناس، و... على كسب ولائهم ومساندتهم للقوات الأمريكية"، وهو ما شكّل تحليلاً عمّما كان المحافظون الجدد، حينها، يتحاشونه (39). ومنذ نهاية القرن التاسع عشر (1896)، كان تشارلز إدورد كلويل (Charles Edward Callwell، 1859-1928) قد وضع مبادئ الإدارة الاستعمارية لما أسماه "الحروب الصغيرة المتمردة"¹⁵ باعتبارها حملات عسكرية تستثني منها المواجهة بين خصمين نظاميين (46)، إذ وفي اعتباره، ليس "الحافر وراء الحروب الصغيرة... الدمار المادي... إنه غالباً مشروع يتعامل مع التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للناس... هذا يعني دراسة جادة للناس وتطوّرهم العرقي والسياسي والديني والعقلي" (47). وعليه، تلقى الجنود الأمريكيّان "تدريبات حول الحساسية الثقافية تجاه العراقيين... تضمّنت إحاطات حول المعتقدات الدينية، ولغة الجسد، والأدوار الجندرية والبنى السوسيو-سياسية."

وعلى أهميته، كان ذلك التغيير "يعبّر عن منطق الاستشراق الكلاسيكي... (الذي) يقوم بتكسير موضوع معروف كموضوع الثقافة والسلوك العربيين إلى قطع جاهزة للهضم وسهلة التذكّر. تنطوي هذه العملية على إعادة صياغة النظام السوسيو-ثقافي وتدريبه إلى قواعد للسلوك العسكري العمليّاتي" (53). وعلى هذا الوقع، تبلور مفهوم الثقافة العسكري الأمريكي على أساس إثنوغرافي يرى فيه "شبكة من المعاني المشتركة بين أفراد المجتمع، ونظاماً للمعتقدات والقيم والسلوك والطقوس والممارسات اللغوية والمظهرية يمكّن من مواكبة العالم المحيط والتصرّف فيه وهندسته" (54)، وهو ما تتمّ مقابلته بنظام هندسة سياسية عسكرية تعتمد التهدئة (أي القضاء على مصادر العداء العنيف (المسلّح)) والتكفّل (أي الاستجابة للحاجات الأساسية للسكان) والبناء (أي الهندسة السياسية-الاجتماعية لكيان الجماعة المسيطر عليها احتلالياً).

على هذا أمكن للكاتب، وبالاعتماد على سانتياغو كاسترو غوميس¹⁶ وجيمس سكوت¹⁷ وواثل حلاق¹⁸ ومحمود مداني¹⁹ وغيرهم أن يبين أن الترافق التاريخي وتبادل التأسيس والشرعنة بين المعرفة الأنثروبولوجية، والاستعمار الإمبراطوري والحرب الغازية والهندسة السياسية-الاجتماعية للجماعات والكيانات البشرية المحتلة، كلّها مؤسّسة في كلّ إمبراطورية بدءاً من الإسبانية مروراً بالفرنسية والإنجليزية وصولاً إلى الأمريكية (66)

وما بعدها). لقد تَمَّت عسكرة العلوم الاجتماعية، وعلى الأخصَّ منها الإثنوغرافيا والأنثروبولوجيا، بشكل حاسم في صنع تاريخها (68) وعلى أساس اعتبار الثورة والتمرد على الاستعمار مَرَضَيْنِ تجب مداواتهما (71). بذلك، تكون هذه العسكرة خطوة على طريق تنتهي بإنشاء "حقل معرفي تخصصي جديد وهو الاستخبارات السوسيو-ثقافية"،... موضوعه "دراسة عملية توجيه وجمع البيانات المرتبطة بالعلوم الاجتماعية وتحليلها وإنتاج ونشر تلك البيانات المعالجة لتحقيق الوعي الظرفي في بيئة العمليات العسكرية. وبذلك يتم دمج عدد من الحقول المعرفية، منها الجغرافيا والأنثروبولوجيا وعلم النفس والاقتصاد والدين والشؤون السياسية والأركيولوجيا" (71). وذلك هو ما يشكّل بيئة مبنية على فلسفة الحداثة الأوروبية الغربية ومن ثمَّ الأمريكية الشمالية الغازية للعالم، تكون مواتية لممارسة العنف الإبتيمي ومن ثمَّ العنف المادي، وبما يجسّد التساند الوظيفي بين استعمارية السلطة واستعمارية المعرفة، لا على المستوى البنيوي فحسب، بل وكذلك على المستوى العملياتي.²⁰

أنتهي هنا من مراجعة ما يمكن أن يضمَّ هذا الحيز من نصوص العدد، لأعود إلى أسئلة البداية.

خاتمة

كان السؤال الموجّه لهذه المراجعة: كيف يمكن، ضمن المشروع التحرري الفلسطيني، أن تكون المعرفة العلمية الاجتماعية، في معناها الواسع، موضوع تحرير وأداة اعتناق؟ وبفعل تأطيره في سياق قراءة العدد، ولّد هذا السؤال العام سؤالاً أكثر تخصيصاً: هل تكون المجلة، بسِماتها، قريبة من اجترح ما يمكنها من مواكبة "المنعرج التاريخي" الذي افتتحه "طوفان الأقصى" من جهة، و"المنعطف الإبتيمي" الذي جعلتنا "العتبة الغزّاوية" نشرف عليه، من جهة ثانية؟

يعني تخصيص السؤال استثنافين في آنٍ معاً: استثناف مخبر نقض استعمارية المعرفة العالمي، من منظور تشغيل المفاهيم الثلاثة التي اجترحتها وهي "العتبة الغزّاوية" و"المنعرج التاريخي" و"المنعطف الإبتيمي" من جهة، واستثناف الاشتغالات العربية السابقة لنقض استعمارية المعرفة. وهما استثنافان مترابطان.

في الاستثناف الأول، يمثل ما شهدته غزة، بوصفها المجال الرئيسي لإعادة تشغيل آلة الإبادة الجماعية وإيدولوجيّتها:

أولاً: عتبة غير مسبوقة في تنشيط المشروع الأمريكي الصهيوني لإنهاء المقاومة على ضوء مستجدات العشرية الأخيرة لما بعد معركة العصف المأكول- البنيان المرصوص (2014) من جهة، والثورات-الانفضاض العربية (2010-2011) من جهة ثانية. وهو يستحقُّ تسمية "العتبة" لا لأنه غير مسبوق فحسب، بل لأنه أعاد، لمن كان في حاجة إلى ذلك، إظهار المدلول التاريخي لوجود الكيان الصهيوني الاحتلالي الاستيطاني الإحلالي التطهيري والإبادي إلى العلقن من ركّام التعمية الإعلامية والمناورة السياسية لفرض الاستسلام والتطبيع.

ثانياً: وعلى هذا الأساس، يمكن أن نطلق على "طوفان الأقصى" الذي رأينا وعشنا (2023-2025) تسمية "المنعرج التاريخي" لأنه هو أيضاً يمثّل مبادرة غير مسبوقة في إجبار الإمبراطورية الاستعمارية بأذرعها العالمية وثكنتها المدجّجة على أرض فلسطين وامتداداتها في المنطقة على أن تسفر عن كُنْهها التاريخي وتقاتل بوجه مكشوف. هو منعرج، لأنّه حمل المواجهة بين مشروع الاحتلال الاستيطاني والمقاومة إلى ذرى تاريخية فارقة، فاصلة بين ما قبلها وما بعدها.

ثالثاً: وفي المستوى المعرفي، يستوجب كلا العتبة والمنعرج أن يحدثنا منعطفاً إستيمياً حتى يرفع العنف الإستيمي الذي رافق، ومنذ اللحظات الأولى، المشروع الإمبراطوري لا تجاه فلسطين ولا الوطن العربي فحسب، بل تجاه سائر الإنسانية الحديثة والمعاصرة، منذ نهايات القرن الخامس عشر، لا وبل كان هذا العنف الإستيمي مؤسساً له. فقد كان في أصل ذلك التأسيس، بناء نظام المعارف الاستعمارية الخاصّة بالشعوب المستعمرة وتواريخها وتراثاتها وثقافات ورؤاها للعالم من منظور العنصرية وفرض التمدين والإبادة ومصادرة المواضي وارتهان تنوّعات الحاضر بالاعتقال ومحو إمكان المستقبلات المستقلة. وقد نشأ عن هذا العنف الممنهج نسق "الجور الإستيمي" الاستعبادي.

ومما تعلّمنا إياه مواد المجلة، أنّ مجابهة ذلك النسق واشتغالاته التي لا تكفّ عن استئناف سيروراتها المتخالفة المتضافرة، غير ممكنة بمجرد تفكيك للصفة الاستعمارية في المعرفة، وكشف تقابلها المميت مع كلّ نزعة إنسية ضمن معارف العالم وإستيميته. لا يكفي الاشتغال على تلك المعارف بوصفها معارف استعمارية بوضعها في مرمى النقد، ولا يكفي حتى طرح معارف بديلة عنها، إذ إنّ ما هو ضروري هو نقض استعماريّتها بوصفها نسق تفكير ونظام وجود، أيّ بنية اجتماعية مصنوعة تاريخياً وبانية للفكر ومهيكلّة للوجود الاجتماعي.

من منظور إنساني عام، وكما تظهره المجلة، ليس نقض استعمارية المعرفة بهذا المعنى مشروعاً اجتماعياً-تاريخياً مبتدعاً للتوّ، إذ كانت له حلقات تأسيسية محلية ذات شمول عالمي، ومنها من اضطلعت به آبيا يالا (Abya Yala)²¹ بمقولات "الديكولونالية"، و "استعمارية السلطة"، و"استعمارية المعرفة"، و"التعدد الأكواني" (Pluriverse)، وما اضطلعت به شبه القارة الهندية بمقولات "دراسات الاستلحاق والمستلحقين أو دراسات التابع" (Subaltern Studies)، وما اضطلعت به أفريقيا بمقولات "نقض الاستعمار" (Décoloni-sation/ Declonization)... إلى آخره.

وعلى ذلك، وفي خلاصة الاستئناف الأول، يمثّل محتوى العدد اندراجاً في نقض "استعمارية المعرفة" لأنه يجيب بالإيجاب على سؤال إمكانية وضع المعرفة العلمية الاجتماعية التي يخوض فيها بوصفها موضوع تحرير وأداة اعتناق، معاً، وفي الآن ذاته، ضمن المشروع التحرري الفلسطيني.

وليست شروط هذا الاندراج المعرفية والاجتماعية ممكنة التحقق إلا إذا كان الاستئناف الثاني. فقد كانت إستراتيجيات الاستعمار الإمبراطوري حاضرة على الأرض العربية منذ الثلث الأول من القرن التاسع عشر، بشقيها الاستيطاني (الجزائر) والمجالي (باقي أرجاء المغرب والمشرق الكبيرين)، وبكامل عدوانيتها المسلّحة وعنقوان جُورها الإستيممي. وعلى مرّ ما أعقب ذلك التاريخ من حلقات، كانت اشتغالات نقض استعمارية المعرفة العربية جارية بتعزّجاتها الإستيممية والاجتماعية التي تحتاج ولا شك تفصيلاً ليس هذا مجاله

الإحالات

- [1] انظر نصّ المحاضرة وملا تلاها من نقاش في: منير السعيداني، رؤى ومواقف في المعارف والثقافات والتغير الاجتماعي (تونس: سوتيميديا للنشر والتوزيع، 2025)، 239-266.
- [2] منير السعيداني، "اعتناق المعرفة وتنظير فلسطين"، سياقات—مجلة الدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية، العدد 1 (صيف 2023): 37-64.
- [3] Edward Said, *Culture and Imperialism* (New York: Knopf, 1993).
- [4] محمود درويش، "طباق: إلى إدوارد سعيد"، في *كزهر اللوز أو أبعد* (بيروت، دار رياض الريس للكتب والنشر، 2005).
- [5] منير السعيداني، "العلوم الاجتماعية والإبادة والتحرير"، في *رؤى ومواقف في المعارف والثقافات والتغير الاجتماعي*، مصدر سبق ذكره، 469-476. والنص عبارة عن تفريغ لمحتوى الحديث الصحفي الذي أجراه مع المؤلف عثمان أمكور ونُشر بعنوان آخر من اختيار الموقع "البروفيسور منير السعيداني: واجبنا بناء علوم اجتماعية جديدة للتحرر ومواجهة الإبادة"، الجزيرة نت، 19 نيسان 2024، شوهد في 15 شباط 2016. <https://www.aljazeera.net/culture/2024/4/19/انيجاو-يناديبعسلا-رينم-روسيفوربلا>
- [6] للاطلاع على موقع المجلة، انظر الرابط التالي: <https://babelwad.com/algwnb>
- [7] خالد عودة الله، *سنجة سنيّ يامنة: سيرة فلسطينية لحربة الإمبريالية (القدس: دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، 2025)*.
- [8] عنان حمد الله، *تحولات الحرب الأمر يكية على العراق: الانعطافة الثقافية، صعود الباحث المقاتل، والعنف الإستيممي (القدس: دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، 2025)*، 11.
- [9] هو البيان الثاني الذي تصدره نفس مجموعة المثقفين بعد بيانها الأول: "بيان ضدّ الإبادة والاستسلام: من أجل الأمل والصمود والمقاومة"، الأخبار، 11 نيسان 2024، شوهد في 15 شباط 2026. <https://www.al-akhbar.com/مواقلاو-دومصلاو-لما-لجأ-نم--مالستسالاو-دالبا-لدض-نايب/829678/أارأو-اياضق/>
- [10] للمزيد، انظر: <https://www.lemkininstitute.com>
- [11] Jeremy Bentham, *Panopticon or the Inspection-House* (London, 1787).
- [12] حمد الله، مصدر سبق ذكره، 11.
- [13] David Galula, *Counterinsurgency Warfare: Theory and Practice* (London: Praeger Security International, 2006). (First published in 1964).

والمؤلف ذو الديانة اليهودية، الذي ولد في صفاقس التونسية وترعرع في الرباط المغربية، ضابط سام في الجيش الفرنسي، درس تجربة ماوتسي تونغ قائد جيش التحرير الصيني خلال حرب الشعب طويلة الأمد، وتجارب مختلفة أخرى من الحروب الاستعمارية ضد التمردات العسكرية في الهند الصينية واليونان والجزائر. ومن هذه الأخيرة، وبعد مروره بجامعة هارفارد، استنتج جملة من الدروس لخصها في هذا الكتاب الذي صار مرجعاً أساسياً في السياسات العسكرية الأمريكية المكافحة للتمردات المسلحة (دليل عقيدة مكافحة التمرد، كانون الأول 2006)، التي تمّ تجريبيها في العراق وأفغانستان أولاً.

[14] Thomas Edward Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom: A Triumph: The Complete 1922 Text* (CreateSpace Independent Publishing Platform, 2013), 540.

[15] Charles Edward Callwell, *Small Wars. Their Principles and Practice* (London, Harrison and Sons, 1906), first ed. 1896 and 1899).

[16] Santiago Castro-Gomez, "The social Sciences, Epistemic Violence, and the Problem of the 3 Inventions of the Other," *Nepantla: Views from the South*, No 2 (2000): 269-286.

[17] James C. Scott, *Seeing Like a State: How Certain Schemes to Improve the Human Condition Have Failed* (New Haven and London: Yale University Press, 1998).

[18] وائل حلاق، *الدولة المستحيلة: الإسلام والسياسة ومأزق الحدائث الأخلاقي*، ترجمة عمرو عثمان (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014).

[19] Mahmood Mamdani, *Neither Settler nor Native: The Making and Unmaking of Permanent Minorities* (Cambridge, Massachusetts, London: The Belknap Press of Harvard University Press, 2020)

[20] حمد الله، مصدر سبق ذكره، 74-99.

[21] حرفياً، تعني التسمية "أرض الدم الخصب" أو "الأرض الناضجة" وهي من اللغة الأصلية (ما قبل الكولومبية نسبة إلى كريستوفر كولومبس (1451-1506)، قائد غزو أمريكا) لشعب غونا (Guna، أي "باناما" و"كولومبيا" الحاليين). وهي تستعمل لتعيين القارة "الأمريكية" في رفض للعنف الإقليمي للتسميات الاستعمارية وإقرار للغات الأصلية ومحمولاتها الثقافية والهوياتية.